بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
الملتقى العلمي لكلية الدراسات العليا
تحت شعار

(تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة)
١٢-١٤/١١/١٤٣٢، ١٠-١٢/١٠/٢٠١١

ورقة بعنوان

# ظهور شخصية الطالب وأثره في جودة البحث العلمي

إعداد
أ.د. محمد خازر المجالي
عميد كلية الدراسات العليا/الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فتجويد الرسائل والأطروحات العلمية موضوع مهم، خاصة في زمن اتساع الدراسات العليا، وتنمية روح التنافس بين الجامعات في الارتقاء ونيل المرتبة الأعلى في التصنيف الدولي للجامعات، وربما تجعل هذه وتلك موضوع جدية الرسائل العلمية تحت المجهر، ولا يجوز في ديننا وأخلاقنا أن تكون الغاية مسوغة للوسيلة، فلا بد أن تنسجم الرسائل والأطروحات مع المنهج العلمي الصحيح من جهة، ومع أخلاقيات البحث العلمي من جهة أخرى، ولا بد مع هذا كله من الرجوع إلى شخصية الباحث نفسه، نسأل عنها وعن وجودها في البحث، ابتداء باختياره، وانتهاء بمناقشته ونتائجه.

وأزعم أن ظهور شخصية الباحث هو من أهم أسباب تجويد الرسائل والأطروحات العلمية، وبالتالي جودة البحث العلمي، ودفع عجلة التقدم التنموي الشامل، فنريد النوع لا الكم، ونريد الباحث المتميز لا الناقل أو العالة على غيره، فإن صلحت مسلكيات الباحث فلن تكون المخرجات إلا خيراً، وهكذا.

ومن هنا فسأقسم ورقتي هذه إلى المباحث التالية:

١. الأمور العامة التي لا بد للبحث العلمي من وجودها.
٢. ميادين ظهور شخصية الباحث.
٣. آثار ظهور شخصية الباحث على البحث.

وليعذرني الجميع، فما سأكتبه هي ملحوظات وخلاصة تجارب أخذتها من إشرافي على الكثير من الرسائل الجامعية، ومناقشتي للكثير منها أيضًا، إضافة للأبحاث العلمية المحكّمة، فما سأكتبه خلاصة تجارب ونصائح ليس إلا، ومن هنا خلت من التوثيق لأنها في العقل والتجربة.

## المبحث الأول: الأمور العامة التي لا بد للبحث العلمي من وجودها

أبدأ بذكر هذه الأمور على شكل نقاط، ولا أطيل التعليق عليها، فهي أمور معروفة لا أريد من ذكرها إلا التذكير فقط، ولكن لا بد من الاعتراف أيضًا أن شخصية الباحث تتدخل في تجلية هذه النقاط من خلال حرصه على استيفائها شروطها، والبلوغ بهذه النقاط إلى القمة في الإنجاز والإتمام والاختيار، ومن هذه النقاط:

١. أن يكون البحث مبتكرًا فيه شيء جديد، ولعل هذه من أهم النقاط التي تعيق اختيار الموضوع، فيجول الطالب ويصول بحثًا عن عنوان جديد، وربما تراوده نفسه أن يعيد الكتابة في موضوع مكتوب فيه، لعله يأتي بجديد أو ينتقد من خاض في ذلك الموضوع، ومن هنا سنّت بعض الجامعات تشريعات تجيز البحث في موضوع مبحوث فيه شريطة الإتيان بجديد آخر غير الذي جاء به الباحث السابق.
٢. أن يكون البحث منظمًا من حيث التقسيم والتبويب، ومرتبًا ترتيبًا منطقيًا حسب موضوعه، وأن تكون له مقدمة وتمهيد ونتائج وخاتمة، إضافة لفصول البحث، وأن يكون في المقدمة تعريف بالبحث، وبيان المنهجية المتبعة فيه، وشيء عن الجهود السابقة.
٣. تناسب طول الفصول والمباحث مع بعضها قدر الإمكان، فنجد أحيانًا بعض الرسائل والأطروحات غير متناسبة التوزيع، فربما يكون فصل من أربعة فصول أكبر من باقي الرسالة أو الأطروحة، صحيح إنه ربما تكون طبيعة الرسالة تقتضي هذا، ولكن لا بد أن يكون التقسيم مسوغًا مقنعًا، وإلا فهذا مظهر من مظاهر الخلل والتشويه..
٤. حسن اختيار العنوان بحيث يغطي الموضوع، ولا يجوز أن يكون أحدهما أوسع من الآخر، فنجد أحيانًا بعض العنوانات أكبر أو أضيق من ميدان الدراسة، فتبدو الرسالة أو الأطروحة مشوهة، فإن كان العنوان فضفاضًا فلم تغط الدراسة حجمه، وقد يبدو ضيقًا حين يخوض الباحث في أمور لم تندرج أصلاً في المخطط، أو كان لا بد منها ولكن العنوان لا يسعف في تغطيتها،

وهنا لا مانع من تغيير العنوان ولو بعد حين، فالمهم أن تتطابق الدراسة مع العنوان، وتندرج تحت مظلته.

٥. عدم الخوض فيما لا داعي له، وهذه من الأمور المهمة التي ينبغي التقيد بها، وهي التي تؤدي ببعض الباحثين إلى ما يسمى بالحشو، فالدراسة مقيدة بعنوان، ولها أهداف، فلا نتجاوز الحدود وإلا تعكر صفاء الدراسة ودخل فيها ما ليس منها، ومن هنا فلا بد من وجود ما يسمى بمحددات الدراسة، يقيد الباحث رسالته أو أطروحته بما يود البحث فيه، حتى لا يُنتقد فيما لو كان في نظر الآخرين مقصراً أو مسهبًا.

٦. عدم الخوض فيما استأثر الله بعلمه، أو فيما هو خارج نطاق عقل الإنسان، إلا في حدود المعنى اللغوي، ولئن كانت هذه أقرب إلى الدراسات الإنسانية، ولكن لا بد من الإشارة إليها كون كثير من تحديات العصر موجود فيها، صحيح إن البحث العلمي نزيه، ولا بد من الحياد العلمي فيه، ولكن ثمة قواعد وأصول لا بد من الاتفاق عليها، منها هذه، فهناك أمور استأثر الله بعلمه فيها، من حيث حقيقتها وتفاصيلها، ولكن لا يعني هذا عدم البحث في المعنى اللغوي أو ببعض محدداتها، فللعقل البشري أن يجتهد ولكن في حدود معينة، وإلا فستكون الغيبيات مسرحًا لاجتهادات البشر، وعندها يكون الخلط والتشتيت والابتداع، وكله ضرب من الخيال والضلال.

٧. التزام الأمانة العلمية بشكل كامل، فلا يحق لأي منا أن يدعي كلامًا لغيره وينسبه لنفسه، فالكلام المنقول بحروفه يوضع بين أقواس ويشار إليه في الهامش بذكر المرجع مباشرة، أما الكلام المنقول بالمعنى فلا يوضع بين أقواس، ويشار إليه في الهامش بذكر المرجع مباشرة وقبله كلمة (انظر) أو ذكر كلمة (بتصرف) بعد ذكر المرجع.

٨. التزام الحياد في المناقشة والبعد عن التعصب في دراسة المسائل العلمية، وكذلك البعد عن العاطفة، فنجد أحياناً دراسة عن فرقة ما، أو بلد ما، أو موضوع لي فيه رأي ما، فهنا لا يجوز أن يطغى رأيي أو توجهي أو عاطفتي

على مجريات البحث، فالحقيقة هي سيدة الموقف، وهذه من ميزات البحث العلمي حين ينحاز أحدنا إلى الحق لا إلى هوى في نفسه، فبهذا تنضبط الأفكار ونقضي على الهوى ونخدم العلم ونتائجه.

٩. تجنب تكرار الكلام في الموضع الواحد، وكذا في المواضع المختلفة من البحث، وإن كان لا بد فيمكن للباحث أن يحيل إلى المكان الذي ذكر فيه المعلومة السابقة، ولا بد من الدقة في تحديد المكان.

١٠. من حيث التوثيق فلا بد من التفريق بين المرجع والمصدر، فالمصدر هو الأصل إن كان مطبوعًا، فنرجع إليه لا إلى مرجع آخر نقل عنه، ولا بد من مراعاة أن كل علم يؤخذ من مصدره، فالحديث النبوي من مصدره، والمعلومة الجغرافية من مصادرها، والشعر من مصادره، والمعنى اللغوي من المعاجم، وهكذا، ولا بد من ترتيب المصادر والمراجع هجائيًا حسب اسم المؤلف (الشهرة)، أو حسب عنوان الكتاب، مع حذف (ال) و (ابن) و (أبو). أما إن رجع الباحث إلى أكثر من مصدر أو مرجع للمعلومة الواحدة وأراد إثبات ذلك في الهامش فليبدأ بذكر المرجع الأقدم، وهكذا. إلا إذا كان الكلام مقتبسًا من مرجع معين، وله شبيه عند آخرين، فعندها يثبت الكلام المقتبس، ثم يقول: "وانظر أيضًا كلاً من ....".

١١. تجنب الألفاظ الدالة على تعظيم الباحث مثل (قمنا) و (بحثنا) وأمثالها، فلا بد للباحث من التواضع، وفي هذا السياق لا بد من التنويه على احترام الهيئات والذوات، والبعد عن التجريح، فهذا بحث علمي نزيه.

١٢. لا بد من ذكر المعلومات الكاملة عن الطبعة، وذلك في قائمة المصادر والمراجع، والمعلومات حسب الترتيب هي: (دار النشر، مكانها، رقم الطبعة، سنة الطبع)، وهنا لا بد من اتباع سياسات النشر، فربما تشترط بعض الجامعات أو الدوريات شروطًا مختلفة، فالأصل اتباعها، ولكن لا بد من وجود معلومات كاملة عن الطبعة ليسهل الرجوع إليها.

١٣. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، أو اللغة التي كتبت الرسالة بها.

١٤. لا بد من نتائج وخاتمة فيها التوصيات، ويحبذ أن تذكر نتائج البحث على شكل نقاط، وكذا التوصيات، وعلى الباحث أن يكون منطقيًا في توصياته ولا يطالب بما هو مستحيل.

١٥. سلامة اللغة ومراعاة علامات الترقيم والفقرات.

## المبحث الثاني: مجالات ظهور الشخصية

كما قلت سابقًا، فإن ما ورد أعلاه في المبحث الأول يمكن أن يكون مادة وفيرة لمبدأ ظهور الشخصية، إذ إن النقاط في عمومها يتحكم فيها ويضبطها ويوفيها حقها، بل يحرص كل الحرص على إتمامها، ولكن ثمة نقاط هي أوفر حظًا من غيرها في مبدأ ظهور الشخصية، أجتهد وأذكر بعضاً منها، وهي:

١. أن يبدع الباحث في بحثه، تحليلاً ومناقشة واختصارًا للأقوال واستنباطًا، فهذا ميدان رئيس لظهور الشخصية، وبدونه لا يكون البحث إلا نقولاً أو شبه نقول، فيعتمد الباحث كليًا على غيره، ولا بد من تفصيل هذه النقطة:

أ. لا بد من تحليل المعلومات المقتبسة، وتبويبها، وهي معلومات الأصل أن تكون دقيقة، مرتبة، مسندة إلى أصحابها، فهنا يحرص الباحث على الدقة فيها، وحسن الإخراج والتبويب، هو بحثه ونتاجه، وتعجبني في هذا السياق مقولة أن لا تخط بيمينك إلا ما يسرك أن تلقاه غدًا في صحيفتك.

ب. مناقشة هذه المعلومات أمر مهم يظهر شخصية الباحث، فهو ليس مجرد ناقل، وإلا ستكون المعلومات المنقولة حجة عليه، أو على الأقل سيبدو موافقًا على كل شيء ينقله، فمناقشة الأقوال تضعها في نصابها الصحيح، فقد يؤيدها أو يرفضها أو يعدل مفاهيمها، وكلها لا بد فيها من الحجة والأدلة، ولا بد من الأدب الكامل والاحترام والنقد

البنـاء المبنـي علـى أصـول، لا مجـرد النقـد أو التجـريح أو إظهـار الشخصية ولو بالباطل، وهنا نتذكر أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ونتبع الحق ولو كان عند غيرنا.

ت. اختصار الأقوال من الأمور التي تظهر فيها الشخصية، فعندما تكون هناك نصوص كثيرة تفيدني، وأنا أعلم أنها بطولها قد تؤثر على البحث، فهنا لا بد من اختصارها، أو الوقوف على موضع الشاهد منها، فكثرة النقول أمر مخل بالبحث العلمي، ويتساءل القارئ مباشرة: أين شخصية الباحث؟ لماذا لم يختصر تلك المعلومات ويعطينا زبدتها ورحيقها؟ أو لماذا لم يذهب بنا إلى موضع الشاهد مباشرة؟ وهنا لا بد من الانتباه إلى ما يفعله بعض الباحثين حين يجتزئ العبارة من النص، ولا ينظر إلى ما قبلها أو بعدها، فيظلم النص نفسه، ونقع فيما يشبه "لا تقربوا الصلاة"، فالانتباه إلى السياق عمومًا أمر مهم جدًا في الاقتباس.

ث. تظهر شخصية الباحث جليًا عندما يحاكي الأقوال، ويناقشها وينتقدها ويستنبط منها ما يريد، فهنا الدور الأبرز والأهم للشخصية، فهو يعي ما يكتب وينقل، بل هو متمكن لدرجة أنه يُخضع النص أمامه ليقارنه بغيره، ويستنبط منه، ويوجهه حسبما تقتضي القواعد العلمية، من أجل الوصول إلى نتائج علمية صحيحة مقنعة.

٢. التزام أدب الإسلام في كل ما نكتب من عبارات، خاصة حفظ الحقوق وإنزال الناس منازلهم التي يستحقونها، وليعذرني الجميع فعندما أقحم الإسلام هنا فلأنه دين العلم دين (اقرأ)، وهو الرائد في البحث العلمي، ولا يحبطنا واقع أمتنا الآن مقارنة مع غيرنا، فلا نعيب إلا أنفسنا، وإلا فالله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فقد علمنا الإسلام الأدب حتى مع الأعداء، ولكننا نركز عليه هنا في هذه النقطة لكي يضفي الباحث في رسالته/أطروحته ما تعلمه من دينه وتقاليده، وينبغي أن يعلم أن العلماء شأنهم عظيم، فلا أقل من

التزام الأدب والعفة، وهذا لا يناقِض البحث والنقد والمناقشة، بل النقد نفسه والمناقشة إن كانا بأسلوب مؤدب رصين ربما يعملان عملهما في الإقناع، فقد جُبِل الناسُ على حبّ من أحسن إليهم، وكره من أساء إليهم.

٣. مراعاة أن خير الكلام ما قل ودل، وأن لكل مقام مقال، فلا بد من فطنة وكياسة في معالجة الأمور والمناقشة، وهنا تكون بلاغة الباحث وحكمته، في اختيار الألفاظ ومناسبة الكلام مقتضى الحال، وجميل جدًا أن يركز الباحث على جوهر الأشياء لا على فضلاتها، وأن يتجنب كل ما يضر بالبحث ويشوه جماله، وهنا لا بد أن أُذَكِّر بأن الأصل النوع لا الكمّ، فلتظهر براعة الباحث في إخراج بحثه في أجمل صورة وأبهاها وأكثرها إقناعًا وقبولاً.

٤. استغلال الهامش لأكثر من غرض التوثيق، فيخطئ كثير من الباحثين في جعل الهامش مستودعًا للتوثيق فقط، وهنا تبرز شصية الباحث في التحكم بالمعلومات المودعة في رسالته، فما كان أصلاً وجوهريًا أو ضروريًا فلا بد من وجوده في متن الرسالة/الأطروحة وأصلها، أما ما كان سوى ذلك ويريده الباحث فمكانه في الهامش، حيث المعلومات الإضافية، سواء لترجمات أو التعليقات أو التوجيهات، وهكذا.

٥. تجنب كثرة النقول، وتتابعها، فلا بد من كلام للباحث يربط من خلاله بين النصوص المقتبسة، وهنا لا بد أن أبين حقيقة أن كثرة المراجع مطلوبة تشعر برجوع الباحث إلى أكبر عدد من الكتب واطلاعه على جهود السابقين، ولكن مع هذا فلا بد من تجنب كثرة النقول، فالأولى من النقل التحكم والاختصار وصهر المعلومات في عبارات للباحث نفسه، هنا تظهر شخصيته العلمية وقدرته على محاكاة النصوص والتصرف فيها، ولا بد من تقعيد حقيقة أنه لا ينقل بحروفه إلا النص المقدس، والذي لا يمكن اختصاره، أو النص المراد نقده، وما سوى ذلك فالأصل التحكم والتصرف فيه. وثمة خطأ آخر يقع فيه بعض الباحثين وهو تتابع النقول، وربما لا يفصل بينها بأي فاصل، وهذا

مخل بالبحث ملغٍ لشخصية الباحث مصورٌ لها وكأنه مجرد ناقل، فإضافة إلى التصرف، وإلا فلتكن للباحث عبارات ما قبل الاقتباس الآخر، وهكذا.

٦. أن يكون طابع البحث جديًا فيه صفات البحث العلمي الأصيل، وهذه أيضًا واضحة من حيث لا بد أن يناقش البحث مشكلة حقيقية تشكِّل مادة البحث، وربما ما ذكرته سابقًا يدل على هذا، ولكن هنا حيث شخصية الباحث مطلوبة، فلا بد من الجدية في مناقشة النقاط والمشكلات، فميزة البحث العلمي النزاهة والحيادية والجدية، وقوته في هذه الأمور، ليكون أقرب إلى الحقيقة منه إلى المجاملة والعفوية، فلا بد من توفر صفات البحث العلمي التي أشرنا إليها في المبحث السابق وهنا في هذا المبحث أيضًا.

**المبحث الثالث: آثار ظهور شخصية الباحث على البحث**

أزعم أن ظهور شخصية الباحث له الآثار التالية:

١. الثقة التامة بالنفس وبالبحث، فكثيرون ممن يناقشون رسائلهم/أطروحاتهم نجدهم مهزوزين غير واثقين بأنفسهم، إما لأنهم كتبوها على عجل، أو لم يتفاعلوا معها حقًا، أو ربما تكون ليست لهم فلم يكلفوا أنفسهم عناء البحث والمناقشة وإظهار نَفَسهم العلمي فيها.

٢. القوة العلمية للرسالة/الأطروحة، فشتان بين بحث تعب عليه صاحبه وأتقنه وأظهر فيه مناقشات ورجع فيه إلى أكبر قدر من المراجع وصهر معلوماته، وبين آخر أقرب ما يكون إلى جهد آخرين لملمه وصفه ورتبه شكليًا، فهو جسد بلا روح حتى لو بدا جميلاً أنيقًا.

٣. الإضافة الحقيقية الجديدة للمكتبة والمعرفة، فهل يستوي من كانت رسالته/أطروحته معمّقة دقيقة متعوبًا عليها كمن كانت رسالته/أطروحته غير ذلك!؟ صحيح إن الرسائل والأطروحات كثيرة، ولكن لو كنا منطقيين في تقييمنا لها، فكم يصلح منها أن يكون في عداد الجديد والجدّي وما فيه إضافة

حقيقية إلى المعرفة؟ أظن أننا سنختزل النصف أو أكثر، وسبب ذلك الرئيس هو غياب شخصية الباحث.

٤. تشجيع الباحثين على إعمال الفكر والبحث، وهنا أجدني مضطرًا للاستدلال بالقرآن، فسبحان من أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ومع ذلك أمر سبحانه بتدبر القرآن وحث على ذلك "أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا"، (النساء:٨٢)، "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"، (محمد:٢٤)، بل جعل الله مهمة البيان للرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– في قوله: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم"، ولم تنته الآية هنا، بل أتبعه الله سبحانه بقوله: "ولعلهم يتفكرون"، (النحل:٤٤)، فدور الرسول –صلى الله عليه وسلم– التبليغ والبيان، ولا يمنع هذا من التفكر للأمة في كتاب ربها سبحانه، وشاهدي من النقطة هذه أنّ ظهور شخصية الباحث أمر مهم ينبغي تشجيعه، ولكن مرة أخرى، ضمن الضوابط التي أشرنا إليها، ولا يعني هذا إلغاء العقل، بل ضبطه.

٥. منح الباحثين ثقة في بناء القدرات في البحث نفسه، وتعطيهم مرونة في الحوار والنقد البنّاء، وكما قيل عن قارئ القرآن بأنه قد يكون مجرد قارئ لا يعتبر، أو أنه قرأ وتخلق بأخلاق القرآن وأصبح مصحفًا يمشي على الأرض، وهنا الأمر نفسه، فهناك صاحب البحث القادر على إنجاز أبحاث قوية، وذاك الذي تنفس الصعداء بإنجازه بحثه ولا يريد الكرّة مرة أخرى للبحث، وبهذا فنحن نريد الباحثين الجادين القادرين، لا المهزوزين المترددين.

## الخاتمة والنتائج والتوصيات

يمكننا القول بأن الرسائل والأطروحات العلمية إنما تتميز بشكل رئيس بثلاثة أمور رئيسة هي:

١. موضوعها الباعث على الطمأنينة بجديد المعرفة.
٢. منهجية البحث الباعثة على الطمأنينة بجدية الباحث وبحثه.
٣. ظهور شخصية الطالب المنبئة عن تأهل الباحث وقدرته على الابتكار والإنتاج العلمي.

ومن هنا، فظهور الشخصية أمر لا بد من التركيز عليه في مراعاة المشرفين على الرسائل والأطروحات، وينبغي للمشرفين أن يراعوا ما يلي:

١. عدم المجاملة مع طلبتهم في المسائل العلمية.
٢. عدم مساعدة الطلبة في الصياغة والكتابة.
٣. التأكد من أن البحث من إنتاج الباحث لا من إنتاج غيره.
٤. لا بد من تأكد المشرفين من ظهور شخصية الباحث في بحثه من خلال النقاط الواردة في البحث، وأن يظهر أثر البحث على الباحث بناء للشخصية وصقلاً للعقل والفكر.

وأخلص إلى التوصيات التالية:

١. تشريع ما يضمن تأهل الطلبة في قدرتهم على الكتابة بلغة الرسالة، وذلك من خلال برامج اللغة المتاحة، وقد بدأت الجامعة الأردنية بتشريع امتحان كفاية في اللغة العربية لمن لغة رسائلهم العربية، والتوفل الإنجليزي لمن لغة رسائلهم الإنجليزية.
٢. نجاح الطالب في امتحان قدرات قبل كتابته للرسالة أو الأطروحة.
٣. نشر بحث من الأطروحة قبل مناقشتها، الأمر الذي يمرن الطلبة على البحث والدقة وبناء الشخصية والثقة بها، وقد شرّعت الجامعة الأردنية هذا الأمر شرطاً لتخرج الطالب.
٤. توجه الجامعات إلى التركيز على النوع لا الكم، فلا عبرة بكثير من الحشو الموجود في رسائل الطلبة وأطروحاتهم، الأمر الذي سيوفر على الطلبة عناء البحث التقليدي إلى نقلة نوعية يلتزم فيها بالإتيان بجديد في بحثه.